المرأة والرجل

« حسب الاحكام الطبيعية والدينية »

لقد طفحت الكتب وضاقت اعمدة الجرائد واوراق الصحائف بكثرة ما كتب الناس عن المرأة وطول ماتباينت المواضيع والمذاهب فيها فمنهم من اتى شارحاً غاية وجودها في الدنيا ومنهم من شحن الكتب بياناً لكيفية تركيبها ومنهم من استخدم قلمه سنين عديدة لوصف اخلاقها ومنهم من نادى بتعليمها ومنهم من اذاع واشار بوجوب ابقائها في حالة الجهل ومنهم من دفعه الميل الى الكتابة في تحريرها ومنهم من انكر عليها هذا التحرير واثبت ببراهينه الخصوصية وجوب ابقائها في حالتي التحجب والتحفظ وطالما اختلفت المذاهب وتباينت الاراء فيها وما القراء من حيث الميل الا كالكتاب اختلافاً فمنهم من يسلم بما يكتبه الواحد وينكر مايثبته الاخر ومنهم من يقبل ماعافه هذا ويدحض ماسلم به ذاك وما كان ذلك الا لاختلاف المباديء في الشعوب وتباين العلامات والاخلاق بين الملل

ولما كنت من الذين درسوا احوال المرأة سواء في حالتها الطبيعية والادبية فعرفت ماهي عليه في البلاد الشرقية من الجهل والاسترقاق والبعد عن المجتمعات والمنتديات تمسك عنها حريتها فتطيع ولا تأمر وتحكم دون ان تحكم ثم رأيت مسيرها في البلاد الغربية عالمة تراها للمحافل مطلقة العنان تحكم ولا تحكم وتأمر ولا تطيع عن لي من زمن طويل ان اظهر فكري ورأيي فيها وما وجدته الاصلح لشانها بعد الدرس والاختبار. ولكنني لما رأيت

ان ما اريد ان اظهره في شأن المرأة لا يكفيه الدهر الطويل رغبت في ان اتي الآن ببعض مقالات مختصرة عنها طالباً من مجلة انيس الجليس الغراء ان تفسح لي محلاً فيها لابث احكامي على مايجب ان تكون عليه المرأة تاركاً للافكار السليمة الحكم بما اوحاه لي الصدق غير قاصد في ذلك الا النفع العام وخدمة الانسانية دون النظر الى ماعدا هذا. ونحن الان في بدء القول ننظر الى المرأة بحالة وجودها في الدنيا وما ينبغي ان تكون عليه طبقاً لاحكام هذا الوجود بالقياس الى الرجل ثم تقابل على التعميم حالتها في الغرب مع حالتها في الشرق ونستخلص من هذه المقابلة ما نراه اكثر صحة وحقاً واقرب الى العقل منه الى الاحساسات

المرأة مهما كانت كيفية وجودها مخلوق ضعيف لطيف اشبه بالرجل من حيث التركيب النظري والادبي ولكنها على الغالب احط من الرجل قوة وادراكاً. فتحديد المرأة هذا يقارن ماتراه فيها الآن ويوافق مذهب الوجود الطبيعي ولا ينافي كيفية الوجود الديني الذي هو اعتقادي وانني غير مريد هنا ان ابحث في صحة احد الوجودين او فساده بل اسلم بكليهما تسليماً مضمناً اذ ليس فيهما ما ينافي موضوع كلامي بل كلاهما بالعكس ذاهبان الى توطيده وتأييده. فاذا كانت المرأة هكذا من حيث الوجه الطبيعي فلننظر اليها طبيعياً بالنسبة الى الرجل نسبة الضعيف الى الاكثر منه قوة. فموجودات الطبيعة من حيث القوة والضعف تقسم الى قسمين القوة والضعف النظريين والقوة والضعف الطبيعيين او العمليين فحسب احكام الطبيعة تسود القوة على الضعف ولا يسود الضعف على القوة وتسود القوة النظرية على القوة العملية ولا تسود هذه على تلك فالانسان بوجه العموم سواء كان ذكراً او انثى قوي طبيعياً بالنسبة

الى بعض مخلوقات الطبيعة وضعيف بالنسبة الى غيرها ولكنه في حالته هذه له السيادة على كل جميع مخلوقات الطبيعة لانه يفوقها كثيراً بقوته النظرية فيحكم عليها بسياسته ويستعبدها بعقله ويستخدمها بحيله ويقوى عليها فيقتلها بقوة فكره وحدة ذهنه فتراه يستعبد الجمل ويستخدم الحصان ويستأسر الاسد ويسخر الفيل ويستهزئ بالنمر ويقتل ويميت ويفتك با كبر الحيوانات وشرها واقواها. ومع ضعفه الطبيعي تراه يمتطي متن البحار غير خائف عواصفها وامواجها ويقطع الفيافي وهو جالس ويطير في الجو وهو قرير البال فيدفع القيظ ويطرد البرد ويراقب النجوم والافلاك السيارة فيعرف اسرارها وجواهرها دون ان تعرف هي من هو وكيف هو فهذا انسان الطبيعة يسود مع ضعفه بقوته النظرية على قوات الطبيعة العظيمة فالسيادة واجبة له وليس لقوة ما من الطبيعة ان تسود عليه فهو ملكها وهو رئيسها وهو مولاها. وما المرأة بالنسبة الى الرجل الا اضعف منه في الامرين النظري والعملي واذ كان من شأن القوة في الطبيعة ان تتغلب على الضعف وتسود عليه فالمرأة اذن مسودة وليست سائدة مطيعة وليست آمرة محكومة وليست حاكمة ولقد كنت اقول انها عبدة ويجوز للرجل ان يستخدمها كيف يشاء لولم ار في الطبيعة حكماً آخر يوجب احترام المرأة وتخصيصها بدواعي المحبة والاكرام واريد به الاجتماع البشري. فالاجتماع البشري الجامع لطمأنينة الحياة وحفظ الجنس يحكم على الرجل العاقل ان ينظر الى المرأة نظرة مغايرة لما تريه اياه احكام الطبيعة من حيث استعباد الضعيف واستخدامه للقوي وعنيت بها نظرة الحب والاعزاز نظرة الاكرام والاحترام فلذلك كان للرجل حقوق على المرأة كما ان للمرأة حقوقاً على الرجل نادى بها الاجتماع البشري ورتب شروطها فبالغ واطنب

فيها الغربيون وقصر واوجز فيها الشرقيون فجرت زائدة من جهة ناقصة من اخرى وقلما كانت حال الوسط فيها مع ان خير الامور في هذه الحال اوسطها

المرأة اضعف من الرجل في الحالتين النظرية والعملية فللرجل حق السيادة عليها اما سيادته فتتأيد بامور منها حبه لها اذ انها شريكة له في الميل الغريزي واكرامه لها اذ ان نمو الجنس البشري قائم بها وبالرفق بها لانها ضعيفة البنية لطيفة التركيب فيعمل كلما يوليها الراحة ويعهد اليها ادارة منزله الداخلي ويعلق عليها النظر في ترتيب حياته البيتية ويحفظ لنفسه السلطة الكبرى عليها ولا يقلدها في الخارج من الحرية ما يريها انها قد اخذت السلطة عليه فتطمح في سلطتها وعقلها حتى تسلك حسبما تريد

ولما كانت اضعف منه عقلا وادراكا واقوى منه شعوراً واحساساً فانها تطغى وتستبد وتشذ عن المطلوب في واجباتها وربما سعت لارضاء اميالها وحكمت طبيعتها بعقلها وبواجباتها فيضطرب نظام العائلة ويفسد حتى لقد يبلغ بها الامر الى منتهى الدمار والخراب بل لقد ينتج من اعطاء الحرية المطلقة للمرأة انها تستعبد الرجل فيتغير نظام الطبيعة اذ يستعبد السائد ويسود المستعبد

تقضي الطبيعة والاجتماع البشري على الرجل باكرام المرأة ولا تقضي عليه بعبادتها ووضع سلطته بين يديها واطلاق العنان لها لتسير وتديره حسبما ترغب فلو كانت الطبيعة تقضي على الرجل بهذا نحو المرأة لكانت قلدت المرأة هذا السلطان واوجدتها اشد قوة واكثر ادراكا فمن مقتضيات الطبيعة اذن ان المرأة تخضع للرجل وان الرجل يسود على المرأة ومن مقتضيات الاجتماع البشري ان يحب الرجل المرأة ولا يعبدها وان يكرمها ولا يحتقرها وان

يأمرها ولا يستعبدها وان يحررها ولا يطلق لها العنان لئلا تطمح وتطمع وتضل وتتيه. تلك هي المرأة موجودة الطبيعة وهكذا ينبغي ان تكون حسب شروط هذه الطبيعة واحكامها وسنة المجتمع البشري وما يقضي به وكذلك المرأة من حيث الوجود الديني وما يحكم به لا ينبغي ان تكون اقل طاعة للرجل مما حكم به عليها الوجود الطبيعي

ولقد اجمعت الاديان التي هي اقرب للعقل من سواها على ان الله هو خالق الكون باسره والدنيا وما عليها وهو وحده موجد الكائنات وكل نفس حية في السماء والارض وهو الذي جبل الانسان ذكراً وانثى وقلده السلطة على باقي المخلوقات وهو الذي فطر الرجل اولا ولكن الدين اذ اعطى لهذا الرجل السلطة على المرأة فقد قيد هذه السلطة ولم يجعلها مطلقة فسوغ له امرها واوجب عليها طاعته ولم يجوز له الاستبداد كما جوز له الاستبداد والتصرف بباقي الحيوانات فما عهد اليه السيادة عليها حتى قضى عليه باحترامها وحبها اذ جعلها وهو جسداً واحداً « فتكونان كلا كما جسداً واحداً » فالمرأة من جهة النظر قسم من ذات الرجل وينبغي للرجل ان يتعلق بهذا القسم ويحبه ويكرمه كما يحب باقي اعضائه فله حق ادارة هذا القسم اذ انه رأسه ولا يجوز له الانقياد في كل شيء كما لا يجوز له ان ينقاد الى كل ما ترغب فيه جوارحه

فالرجل في تركيبه يشبه شركة تؤلفها اعضاء مختلفة في مبادئها واميالها عمياء بنفسها عن معرفة ما ينفعها وما يضرها خلا الرأس منها اذ ان فيه القوة العاملة العارفة البصيرة التي من شأنها ان توفق بين تضاد الاهواء في هذه الاعضاء فتديرها بحكمة عظيمة وتسوسها بحذاقة بالغة فتنيل الواحد ما لا يضر بالآخر وتمسك عن الاخر ما لا يضر بالواحد وليس من يجهل عظيم السوء والضرر

اللذين يصيبان هذه الشركة لو تغلب احد الاعضاء المرؤوسة على العضو الرئيس فيتغير عندئذ نظام هذه الشركة ولا يطول الامر عليها حتى تصل الى الخراب والدمار وليست القوة المرؤوسة الا الاميال وما الاميال الا الحواس الظاهرة وما الحواس الظاهرة الا في الاعضاء وما الاعضاء الا متباينة باهوائها عمياء بتصرفاتها وما القوة العاملة العارفة الا العقل فبالعقل حفظ هذه الشركة ودون العقل خرابها وما مستقر العقل الا الرأس اساس هذه الشركة ومديرها الحافظ لقوامها والصائن لحقوقها ونظام مسيرها فاجماع الدين لهاتين العبارتين. الرجل رأس المرأة. وما الرجل والمرأة الا شخص واحد. هو عنوان تأسيس لشركة نظرية شريفة الغاية شهية الاثمار اقيم فيها الرجل رأساً او عاملاً فاعلاً يدير هذه الشركة ويوفق بين اعضائها فيعطي لكل واحد من هذه الاعضاء ما يرضيه بشرط ان لا يضر بالشركة ويطلق له من الحرية ما لا يمكنه من الشرور فتتغلب عليه القوة المرؤوسة وتقوده الى حيث تشاء في طرق الضلال والغواية فينقض نظام هذه الشركة ويؤول شرفها الى ذل وسعادتها الى شقاء

فالدين قلدك ايها الرجل السلطة على هذه الشركة النظرية اذ جعلك رأسها وانت مسؤول عن كل ما يطرأ عليها ويضر بنظامها فادر بحكمة شركتك اي امرأتك واحسن سياستها وكن محباً لها عاملاً كلما تستطيعه لاجل ان تصيرها سعيدة. فلا تستأسرها كعبدة وتبقيها في التحجب منزوية كحيوان ولا تطلق سبيلها وتعطيها من الحرية ما يجعلها مستبدة باعمالها سائدة بجميع رغائبها غير عارفة ان فوق سلطتها سلطتك فتتغلب عليك وتديرك على اهوائها وهناك الطامة الكبرى

واما انت ايتها السيدة العاقلة فلا يثقلن عليك كلامي بل اعلمي انني اذا كنت لااعطي لك الحرية المطلقة فلست براغب الا في ان اوفر عليك حمل عبء لاتقدرعليه قوالك واجعلك ديناً وطبيعة خارجة عن مسئولية يمكنك ان تكوني خارجة عنها فاتركي السلطة لرجلك وتمسكي بحفظ واجباتك وحافظي على الطاعة له فتحفظي النظام الديني والطبيعي وتكون حياتك سعيدة واثمارك شهية وآخرتك راضية

فعلى هذا تكون الطبيعة والدين قد اجمعا على اعطاء السلطة للرجل وايداها بواجبات يتحتم على الرجل حفظها. ونحن الآن ننظر اذا كانت هذه السلطة نافذة في الغرب واذا كانت هذه الواجبات محفوظة في الشرق وانا على ذلك كلام نودعه الجزء التالي ان شاء الله

حبيب المعوشي
احد تلامذة كلية باريز سابقاً

﴿ عتب الصديق ﴾

« من نظم حضرة الشاعر الشهير احمد افندي محرم »

دعا صحبه مستنجداً غير منجد ... صريع هموم خانه كل مسعد
اصحبيَ الا تنجدوني وتفزعوا ... لنصري امل عنكم بودي وابعد
واجدر صحب المرء بالهجر خامل ... متى يدعه في نكبة يتبلد
رأيتكم لاتدفعون عظيمة ... تلم ولا تكفون شرة معتد

ضعافاً وعزلا تنكلون عن التي ... يكون لديها كل مجد وسؤدد
قعدتم عن العلياء لا تبتغونها ... وظلتم من الهون المقيم بمقعد
لهان عليكم عند من يجتويكم ... مقامي اذا مافاخروني ومشهدي
ولو شئت لم أعي الجواب وانما ... ابى الله ان ينبو عن الحق مذودى
سواي يقول الزور يرجو ثوابه ... وبئس ثواب الكاذب المتعمد
سجية حر النفس والخلق هونت ... عليه اجتناب الصاحب المتودد
وما سرني اني كثير صحابتي ... اذا انا لم اصدع بقول مسدد
توحدت لا آوي الى غير شيمة ... عزوف كفتني وحشة المتوحد
نأت بي فلم أغش الدنايا عن التي ... يسب بها عرضى ويقرع محتدى
بتلك ابتنيت المجد مذ أنا يافع ... ومن يك مثلي همه المجد يمجد
فهل متهم او منجد ذو صحابة ... من الناس لم يتهم بذكري وينجد
اذا راح غيري للدنية واغتدى ... فاني للعليا اروح واغتدي
وذي حسد قد كنت احسبه أخا ... رماني منه طائش الرأي واليد
رماني واوحى انما هو لاعب ... لك الخير لاتلعب وان شئت فاقصد
لك الخير هذي موجداتك قد بدت ... فلا تعتذر عن سيآتك بالدد
نأمل قليلاً ان يكن متأمل ... لعلك تدري ماجهلت فتهتدي
(ستبدي لك الايام ماكنت جاهلا ... ويأتيك بالاخبار من لم تزود)